

# سَحْرُ الْعِيُونِ

فِي

شَرِّهِ النَّارِ بْنِ زَيْدُونَ

تأليف

جمال الدين بن نباتة المصري

٦٨٦ - ٧٦٨ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر

دار الفكر العربي

١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

---

مطبعة الميمنية  
٦٨ شارع العباسية بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## قصدير

### ١ - ابن نباتة(\*)

عُرِفَ باسم « ابن نباتة » أربعة من أعيان العربية وفضلائها ؛ أولهم ابن نباتة الفارقي خطيب حاب ، والمتوفى بها سنة ٣٧٤ هـ ، وثانيهم ابن نباتة السعدي شاعر سيف الدولة ، والمتوفى ببغداد سنة ٤٠٥ هـ ، وثالثهم ابن نباتة المحدث شمس الدين ، والمتوفى بدمشق سنة ٥٧٥ هـ .

الرابع ولده ابن نباتة المصري جمال الدين ، أمير شعراء المشرق ، وصاحب الديوان المعروف باسمه ، وشارح رسالة ابن زيدون .

### (\*) مراجع زرجحة :

الأعلام لحبر الدين الزركلي ٧ : ٢٦٨ / البداية والنهاية لابن كثير ١٤ : ٣٢٢ / البدر البشتكي (مقدمة ديوان ابن نباتة المطبوع سنة ١٣٢٣هـ) / البدر الطالع للشوكاني ٢ : ٢٥٤ - ٢٥٤ / تاج العروس ( مادة - نبت ) / تاريخ الآداب العربية لزيدان ٣ : ١٢٢ / تاريخ الأديب العربي لبوكلمان ٢ : ١١ ، والملحق ٢ : ٤ ) / تاريخ ابن لاس ١ : ٢٢٢ ، ٢٢١ / تقديم أبي بكر ( خزائن الأدب ) لابن حجة الحموي ٢٨٩ - ٢٩٣ / ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ٤٨ - ٤٩ / حديقة الأفراح لأحمد الأنصاري ١١٧ ، ١١٨ / حسن المحاضرة للسيوطي ١ : ٣٤٥ / دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ / الدرر الكامنة لابن حجر ٤ : ٢١٦ - ٢١٨ / رحلة ابن بطوطة ١ : ٥٠ ، ٥١ / شذرات الذهب ٦ : ٢١٢ / طبقات الشافعية ٦ : ٣١ / عقد الجمان للعيني ( مصورة لدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ ) وفيات سنة ٧٦٨ / فهرس دار الكتب المصرية ٣ : ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٦٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ / فهرس المخطوطات المصورة ( فؤاد السيد ) ١ : ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ ، ٤٥٤ ، ٤٨٠ / فهرس المخطوطات المصورة ( لعلي عبد البديع ) ٢ : ٢٨ ، ٢٩ / كشف الظنون ٣ : ٤٨٠ ، ٧١٤ ، ٨٤١ ، ٩٦١ ، ٩٧٩ ، ١٠٠٩ ، ١٠٤٧ ، ١٢١٥ ، ١٢٤٣ ، ١٣٥١ ، ١٦٠٣ ، ١٧٢٠ ، ١٨٥٠ / مجلة المجمع العلمي العربي ( محمد أسعد طلس ) ٢ : ٣٠١ - ٣١٠ / معجم المطبوعات =

وهو أبو بكر جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد بن شرف الدين محمد بن  
أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب عبد الرحيم  
ابن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي الجذامي ، حفيد عبد الرحيم الخطيب ، وولد  
عالم عصره محمد شمس الدين ، وأحد أفراد الأسرة النباتية التي زكا أصلها ،  
وطابت فروعها ، ونفرت في شعره بالانتساب إليها :

وَرثْتُ اللَّفْظَ عَنْ سَلَفِي وَأَكْرِمَ بَالِ نُبَاتَةِ الْغُرِّ الشَّرَافِ (١)  
فَلَا عَجَبٌ لِلْفُظَى حِينَ يَحُلُوْ هَذَا الْقَطْرُ مِنْ ذَاكَ النَّبَاتِ

كان مولده بمصر المحروسة في ربيع الأول سنة ست وثمانين وستمائة ، برُقاق  
القناديل ، أحد مواطن الأشراف والأعيان في ذلك الحين (٢) ؛ على عهد الملك  
المنصور قلاوون ؛ ولم يكبد يُجَلِّز سنَّ الحداثة حتى توجه للدرس والتحصيل والأخذ  
بأسباب العلوم والآداب ؛ فتلقى على أبيه علوم القرآن ؛ وكثيرا ما كان يصحبه  
إلى زيارة أصدقائه من الفضلاء ؛ منهم ابن دقيق العيد ، بدر العلماء وكوكبهم  
اللامع ؛ فبدله على نفائس الكتب ، ويحثه على قراءتها ؛ يذكر ابن نباتة منها

---

= لسركيس ١ : ٢٦٢ ، ٢٦٢ / معجم المؤلفين لعمر كحالة ١١ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ / الفصل  
في تاريخ الأدب العربي ٢ : ٢٠٦ - ١٢٣٥ / المثل الصافي لابن تفرى بردى ( مخطوطة دار  
الكتب ، رقم ١١١٣ تاريخ ) ج ٣ ص ورقة ٢٩٤ - ٢٩٩ / النجوم الزاهرة لابن تفرى  
ردى ١١ : ٥٠ / هداية العارفين ٢ : ١١٦٤ / الوافي بالوفيات للصفدى ١ : ٣١١ - ٣٣١ /  
الوسيط في الأدب العربي ٣١٤ .

ولإسماعيل حسين رسالة اسمها ابن نباتة الشاعر المصري . وقد عمل الأستاذ محمد حلمي  
بجنا مدرسيا ضمنه ترجمة عن محمد عبده وابن نباتة ، وقام الأستاذ عمر موسى باشا بدراسة  
شاملة أودعها رسالته « ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق » .

ونص صاحب النجوم الزاهرة على ضبط النون من كلمة « نباتة » . وذكر الأستاذ خير الدين  
الزركلي أنه رأى نسخة قديمة في مكتبة اللورنزانية وعلى نون « النباتي » فيها ضمة .

(١) ديوانه ٨١ .

(٢) الانتصار لآب دقاق ٤ : ١٣ .

ديوان الحماسة ، والذخيرة لابن بسام . وجلس إلى شهاب الدين الخلاوي ،  
وعبد العزيز الحصري ، وتلقى عنهما الحديث ، كما ورد شريعة الشيخ الأبرقوهي ،  
فأخذ عنه السيرة النبوية بقراءة ابن سيد الناس عليه ، وغير هؤلاء من علماء  
عصره .

أما الأدباء والشعراء ؛ فقد لقي أيضا منهم الكثير ؛ ذكر منهم في إجازته  
للصفدي<sup>(١)</sup> الشيخ علم الدين حسن بن سلطان المصري من أهل منية ابن الخصيب ؛  
قال : قرأت عليه كثيرا من الكتب الأدبية ؛ وكان كثيرا ما ينشدني إلى أن  
أنشدته قولي :

يا غائبين تعللنا لغيبتهم بطيب لهو ولا والله لم يطب<sup>(٢)</sup>  
ذكرت والكأس في كفي لياليكم فالكأس في راحة والقلب في تعب  
فقال : أتعب والله جذعك القرح .

والشيخ العالم بهاء الدين محمد بن محمد المعروف بابن المفسر ، قال : أنشدني  
يوما لنفسه :

لا أرى لي في حياتي راحة ذهبت لذة عيشي بالكبر  
بقي الموت إمثلي ستره يا إلهي أنت أولى من ستر  
فأنشدته لنفسه :

بقلت وجنة الحبيب وقد ولى زمان الصبا الذي كنت أملك<sup>(٣)</sup>  
يا عذار الحبيب دعني فإني لست في ذا الزمان من خل بقلك  
والشيخ الأديب سراج الدين عبد الوارث المصري ، قال : أنشدني لنفسه :

(١) الوافي بالوفيات ١ : ٣١٤ - ٣١٩ .

(٢) ديوانه ٦٤ .

(٣) الوافي بالوفيات .

يَا خَجَلْتِي وَشَمَاتِي سُودٌ غَدَتْ وَصَحَائِفُ الْأُزَارِ فِي إِشْرَاقٍ  
وَمَوْبِخٍ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَاتِلٍ أَكْذَاتُكَ تُكُونُ صَحِيفَةُ الْوَرَقِ!  
والأديب نصير الدين المناوي، قال: أنشدني لنفسه:

أَحَبُّ مِنَ الدُّنْيَا إِلَيَّ وَمَا حَوَتْ غَزَالٌ تَبَدَّى لِي بِكَاسٍ رَحِيقٍ  
وقد شهدت لي سُنَّةُ اللَّهِ أَنِّي أَحَبُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ كُلِّ عَتِيقٍ  
فأنشدته لي:

إِنِّي إِذَا آتَسْتُ هَمًّا طَارِقًا عَجَلْتُ بِالذَّاتِ قَطَعَ طَرِيقَهُ<sup>(١)</sup>  
وَدَعَوْتُ أَلْفَاظَ الْمَلِيحِ وَكَأْسَهُ فَنَعِمْتُ بَيْنَ حَدِيثِهِ وَعَتِيقِهِ

وهكذا قضى جمال الدين بن نباتة صدر أيامه وأوّل حياته في صحبة العلماء  
بمخرج عليهم، ويحمل العلم عنهم، يجمع الأدباء والشعراء يطارحهم الكلام  
ويطارحونه، وينشدهم الشعر وينشدونه؛ وفيما بين ذلك يقرأ الكتب والأشعار  
يتفحص ما فيها من معارف، ويعي ما حوته من آداب، حتى أصبح ولما يبلغ -  
الثلاثين؛ من زعماء الشعر وأمرء الكلام.

ثم أخذت الأيام به في مصر تضيء، والشباب يطوي مطارفة شينا فشيئا؛  
ويصبح فإذا له زوجة وأولاد؛ فيضيق به العيش، ويترنق أمامه الصنفو،  
وينففس بالشكوى:

لَقَدْ أَصْبَحْتُ ذَا عَمْرٍ عَجِيبٍ أَقْضَى فِيهِ بِالْأُنْكَادِ وَفَتِي<sup>(٢)</sup>  
مِنَ الْأَوْلَادِ خَمْسُ حَوْلٍ أَمَّ قَوَّاحَرَبَاهُ مِنْ حَمْسٍ وَسِتٍّ!  
ويبحث عن وظيفة في الديوان فلا يجد؛ ويمدح الأمراء فلا يظفر إلا

(١) ديوانه ٣٥٢.

(٢) ديوانه ٨٠.



بالكفاف ؛ ثم تَظَلَّ الديار المصرية الفتن والزعازع الهوج ، ويشيع الانقسام بين الأمراء ؛ وتُحَاك الدسائس في قصور الماليك ؛ وتُروى أحاديث السلب والنهب في كل مكان ؛ فيضيق لكل ذلك صدره ؛ ويتشعبُ فؤاده ؛ وينوى الرحيل عن وطنه الحبيب ؛ وإن أضالعه لتنحني على الهم والأسى ، أن يفارق مسقط رأسه ؛ ومُلْهُىَ حديثه ، وملتقى أخدانه وأترابه .

مَوَاطِنُ أَهْلِي ثُمَّ صَحْبِي وَجِيرَتِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تَرَابُهَا

\* \* \*

وفي سنة ٧١٦ سافر إلى الشام - على ما ذكره ابن حجر - وأخذ دمشق لله مستقرًا ومقامًا ؛ وفيها لقي والده شمس الدين ؛ وقد كان سبقه بالرحلة إليها وتولى دار الحديث الثورية بها ، فكان كل ما يحصل له ينقله على أحفاده أولاد جمال الدين ؛ وهناك طاب له العيش ؛ وأخلد إلى شيء من راحة وسكون<sup>(١)</sup> .

وكان إسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد المعروف بأبي الفدا ، أحد الأمراء الأيوبيين الذين تولوا حماة من قبل الملك الناصر ؛ ومنحه استقلالاً بها ، وكان رجلاً فاضلاً ؛ وعالماً بجريراً ؛ له مشاركة في شتى العلوم والآداب ؛ في الفقه والتفسير ، والأصول ، والنحو ، والتاريخ ، والموسيقى ، وتقويم البلدان ؛ وله في ذلك مؤلفات ؛ والملك سوقٌ يجتلب إليه ما ينفق عنده ؛ لذلك هوت إليه أفئدة العلماء ؛ ورحل إليه الشعراء ؛ وقيل فيه المدائح والمطولات ؛ فمنح الجزيل ، وأعطى الكثير ؛ وغدت ساحته بحجة مزبداً وعكاظاً .

فلم يجد ابن نباتة بدءاً من التوجه إليه ، ووصل حبله بحباله ، كما ذهب إليه من قبله صفي الدين الحلي والشهاب محمود الحلبي وغيرها ؛ وما إن حل بساحته ،

ووقعت عيناه عليه حتى أحبه وشفي به ، وملاً عليه نفسه من أقطارها ، وكان  
المتنبى كان يُنشد بلسانه حينما لقي ابن العميد :

مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهَا      شَاهَدْتُ رَسْطَ أَلَيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا  
وَمَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأُضَافَنِي      مَنْ يَنْحَرُ الْبِدْرَ النَّصَارَ لِمَنْ قَرَى  
وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ      مَتَمَلَّكََا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضَّرَا  
وَأَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا      رَدَّ إِلَهُهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا  
نُفِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدِّمًا      وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا

وفي حماة ، وبجانب مليكها العظيم ، عاش ابن نباتة أسعد أيام حياته ، وأهناً  
مراحل عيشه ؛ وفيها تفتتت قريحته عن أروع شعره وأخلده على الأيام ؛ بل  
فيها نسي نيله ومصره ، وأهله ووطنه :

أَلَمْ تَرَ أَنَا قَدْ سَلَوْنَا بِأَرْضِهِ      مَرَادًا لَنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ وَمَرْبَعَا  
إِذَا ابْنُ تَقِيٍّ الدِّينِ جَادَ نَبَاتُهُ      عَلَيْنَا فَلَا مَدَّتْ يَدَ الدَّيْلِ إَصْبَعَا  
وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، غَيْرَ مَا كَانَ يُتَحَفَّهُ ، وهو مقيم بدمشق<sup>(١)</sup> .

وبروحه أنشأ أجمل الرسائل وأحلاها ، وسجع بأعذب الألفاظ وأبهاها ،  
وفي كنفه ألف كتاب « مطلع الفوائد » ، وثناه به « سجع المطوق » ، وعمل له  
كتاب « الفاضل من كلام القاضي الفاضل » ، وجمع من مداخله فيه طاقة من  
الشعر سُميت به « الملوئديات » مازالت على الزمن ينفخ عرْفُها ، ويتضوق شذاها ،  
يقول في إحداها :

مَلِكٌ بَاهِرُ الْمَكَارِمِ يَرْوِي      وَجْهَ لُقْيَاهُ عَنْ عَطَاءٍ وَبِشْرِ<sup>(٢)</sup>  
زُرْتُ أَبَوَاهُ فَقَرَّبَ شَخْصِي      وَحَا عُسْرَتِي وَتَوَّهَ ذِكْرِي

(١) ثمرات الأوراق ٤٨

(٢) ديوانه ١٨٤

صَانِنِي عَنْ لِقَاءِ زَيْدٍ وَعَمِيرٍ  
جَرَّ إِلَى أَنْ أَعْيَا التَّطَوَّلُ شَكْرِي  
فَانْضُ الْبَحْرِ ذُو عَجَابٍ كَثُرَ  
سَاءَ وَقَابِ يَوْمِ الْوَعَى مِثْلُ صَخْرٍ  
فِي ذُرَا بَابِهِ وَأَعْيَادِ فِطْرِ

فَجَلِينَا لِسُوقِهِ الْأَشْكَارِ<sup>(١)</sup>  
وَسُمُّوا عَلَى الْوَرَى وَفَخَارَا  
وَلِ حَرْبِي وَاسْتَكْبَرِ اسْتِكْبَارَا  
عَلَّمْتَنِي مَدَائِحًا لَا تَبَارَى

رَدَّ الْحَقَائِبَ شَاكِرَةً<sup>(٢)</sup>  
غُرَّرَ النُّجُومَ الزَاهِرَةَ  
هَذَى الْخِلَالَ الْبَاهِرَةَ  
دَهْرُ الْأَيَادِي الْوَافِرَةَ  
بَهَائِهِ الْمُنِيرَةَ  
حَتَّى الْبِكَايِلَةِ شَاعِرَةَ  
نَمَّ رُبَايَ الْعَاطِرَةَ  
حَتَّى نَظَّمَتْ جَوَاهِرَةَ  
بَلَدِي حَشَايَ الذَّاكِرَةَ  
بِكَايِكَ بِالسَّعَادَةِ عَامِرَةَ  
لِحِمَاةٍ عِنْدِي الْقَاهِرَةَ

وَنَحَا لِي مِنَ الْمَكَارِمِ نَحْوًا  
وَتَقَنَّنْتُ فِي مُفَاوِضَةِ الشُّبُكِ  
أَرْحَى مِنَ الْمَلُوكِ أَرْبُ  
رَبِّ خَلْقٍ أَرْقَ مِنْ أَدْمُعِ الْخُذِ  
كُلَّ أَيَّامِنَا مَوَاسِمِ فَضْلٍ  
وَيَقُولُ فِي أُخْرَى :

يَا مَلِيكَ أَحْيَا الثَّنَا وَالْعَطَايَا  
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَزِيدَكَ فَضْلًا  
صُنْعَتِي عَنْ أَذَى الزَّمَانِ وَقَدْ حَا  
وَانْتَبَرَى غَيْمُكَ الْهَيُونُ بِجَدْوَى  
وَيَقُولُ أَيْضًا :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي  
وَسَمَّا بِهِمَّتِهِ عَلَى  
حَتَّى اتَّقَى مِنْ زَهْرِهَا  
سَقِيًّا لِدَهْرِكَ إِنَّهُ  
مُتَرَادِفٌ لِدَوَى الرَّجَا  
لَوْلَاكَ مَا أُمْسَتْ قَرِيبُ  
أَنْتَ الَّذِي رَوَتْ غَمَا  
وَأَبْجَتِي بِحُورِ الْبَدَى  
لَا غُرُوَ إِنْ سَلَّيْتُ عَنْ  
فَلَقَدْ وَجَدْتُ دِيَارَ مَدَى  
فَهَرْتُ حِمَاةً لِي الْعِدَا

وهكذا عاش ابن نباتة بلبلًا يعرِّد في روضة أبي القدا ؛ وينال من أعطياته  
 ما لم ينله النواصي من الرشيد ، والمتنبى من سيف بن حمدان .  
 وفي سنة ٧٣٢ مات الملك المؤيد ، وبموته انحلت صحيفة مشرقة من حياته  
 وطوى بساط أسخضر من عيشه ، إلا أن صلته بملوك حماة لم تنقطع بموته ، فلم  
 يلبث أن تولى الملك الأفضل بعد أبيه ، فصار إليه ، وأنشده قصيدته المشهورة ،  
 هناء فيها بالملك ، وعزاه في أبيه الراحل :

هَنَاءٌ مَحَا ذَاكَ الْعَزَاءَ الْمَقْدَمَا	فَمَا عَبَسَ الْحَزُونُ جَنَى تَبَسَّمَا <sup>(١)</sup>
تُغَوِّرُ ابْتِسَامٍ فِي تُغَوِّرٍ مَدَامِعِ	شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو السَّبَقِ مِنْهُمَا
نَزْدَ مَجَارَى الدَّمْعِ وَالْبُشْرِ وَاضِحٌ	كُوَابِلُ غَيْثٍ فِي ضَحَى الشَّمْسِ قَدْ هَمَى
سَقَى الْقَيْثُ عَنَّا تَرْبَةَ الْمَلِكِ الَّذِي	عَمِدْنَا سَجَايَاهُ أَبْرٌ وَأَكْرَمَا
وَدَامَتْ يَدُ النُّفْعَى عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي	تَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَعَزَّيْهِ الْحَيُّ
مَلِيكَانِ هَذَا قَدْ هَوَى بَصْرِيحُو	بَرْغَمِي وَهَذَا لِلْأَسِيرَةِ قَدْ سَمَا
وَدَوَّجَهُ مُلْكٌ شَادَوِي تَكَافَاتُ	فَقُصْنُ ذَوِي مِنْهَا وَآخِرُ قَدْ نَمَا
قُضِدْنَا لِأَعْنَاقِ الْبَرِيَةِ مَالِكَا	وَشُمْنَا لِأَنْوَاعِ الْجَمِيلِ مَتَمَا
إِذَا الْأَفْضَلُ لِلْمَلِكِ اعْتَبَرَتْ مَقَامَهُ	وَجَدْتَ زَمَانَ الْمَلِكِ قَدْ عَادَ مِثْلَمَا
أَعَادَ مَعَانِيَ الْبَيْتِ حَتَّى حَسَبْتُهُ	بُوزَنَ الثَّنَا وَالْحَمْدَ بَيْتًا مَنْظَمَا
وَنَادَاهُ مُلْكٌ قَدْ تَقَادَمَ إِرْتُهُ	قَعَامٌ كَمَا تَرْضَى الْعِلَا وَتَقْدَمَا
تَقَابِلَ مِنْهُ مَقَلَّةُ الدَّهْرِ سَوْدَدَا	صَمِيمَا وَتَنْضُو الرِّأْيَ عَضْبَا مَصْتَمَا
وَيَقْسَمُ فِينَا كُلُّ سَهْمٍ مِنَ النَّدَى	وَيَبِثُ لِلْأَعْدَاءِ فِي الرُّوعِ أَسْهَمَا
وجرى الأفضل على سنن أبيه ، فقربه إليه وأدناه ، وأغدق عليه ورعاه ؛ وهو يحزبه الدأخ السائرة ، والقصائد الفاخرة .	

ما سمعنا للأفضل الفرد ثانٍ حَبَّذَا في ثنائنا من بدیع<sup>(١)</sup>  
 شاذوی المقام یاوی علاه بمحلّ علی السَّکِّ رفیع  
 ذوندى کاملٍ ومجدٍ مدیدٍ ووفاً وافٍ وعزٍّ سریع  
 وسجایا کلّ روض تبسم بالزهـر وبأسٍ یبلی الطُّبّا بالتجیع  
 من ملوک تفقهوا فی حی المملـک فرّدوا للأصل فضل الفروع  
 ونضوا فی حماء هیبة مُلکٍ یستردُّ العاصی مردّ المطیع  
 یا ملیکا سقى نـداهُ نباتاً زا کیا زرعُ حدیه فی الزروع  
 وصلتنی النعمی ولم تـسرّ عیسی بفـلّاةٍ ولم تُشدّ نسوعی  
 کرماً مِنک سوف تتلوا التواریـخُ ثناءً علی رموس الجمع  
 لک مِنی الدعا ونظمُ القوافی فأعزّها لازلت فکر السمع  
 وأبـن للمادحین منصوبَ ذکرٍ بحديث المکارم المرفوع

وله عمل أرجوزته المسماة بفوائد السلوك في مصاديد الملوك ، والتي حاكي فيها  
 شعراء العصر العباسي ممن قالوا في هذا الفن ؛ كأبي نواس وابن المعتز ؛ يقول فيها :

لله ذاك السفح والوادي العرْدُ	والماء معسول الرضابِ مطرْدُ
بصُّوبها الراي فكيف السامعُ	ويحمدُ العاصي فكيف الطائعُ !
محاسنٌ تلهي العيون والفكرُ	ريبع روضاتٍ وشُجورٌ صفَرُ
أمامَ كلِّ منزلٍ بستانُ	وبينَ كلِّ قريةٍ مئيدانُ
فبادِرِ الأسدّة يا فلانُ	واغنمِ متى أمكنتك الزمانُ
ولا تقلْ مشقّي ولا مصيفُ	فكلّ أوقاتِ الهنا شريفُ
كلّ زمانٍ ينقضي بالجدلِ	زمانُ عيشٍ كيفما دارَ اعتدلُ
أحسنُ ما أذكر من أوقاتيهِ	وخيرُ ما ألفتُ من لذاتيهِ

يُرَوِّزُنَا لِلصَّيْدِ فِيهِ وَالْقَنْصَنَ      وَجَوَّزُنَا مِنْ مَرَّةٍ أَحَلَّى الْفُرْصَنَ  
وَأَخَذْنَا الْوَحْشَ مِنَ الْمَسَارِبِ      وَفَعَلْنَا فِي الطَّيْرِ فَوْقَ الْوَاجِبِ  
لَمَّا دَنَا زَمَانُ رُمِي الْبَنْدَقِ      سَرَّيْنَا عَلَى وَجْهِ السَّرُورِ الْمَشْرِقِ  
فِي عَصِيَّةٍ عَادِلَةٍ فِي الْحُكْمِ      وَغِلْمَةٍ مِثْلَ بَدُورِ التَّمِّ  
مِنْ كُلِّ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأَطْيَارِ      تَظَلَّهِ غَمَامَةُ الْغُبَارِ  
وَكُلَّ مَعْسُولِ الشَّبَابِ أَغْيَدِ      مَنَعَطُفَ عَطْفِ الْقَضِيبِ الْأَمْلَدِ

ولكن الأفضل لم يلبث أن اضطربت أمور مملكته اضطراباً انتهى  
بجزله ثم موته سنة ٧٤٢ ؛ وبموته انتهت حياة الأسرة الأيوبية بحماة ، وانقطعت  
مدائح ابن نباتة لهذا البيت العظيم ، كما انقطع مَعِينُ الرُفْدِ والعطاء ؛ وعاد الزمان  
بيدي لابن نباتة صفحة جديدة من الهم واضطراب الأحوال ؛ « فاقصر على  
الإقامة بدمشق ، والانجاء عن الناس ، وقرره صاحب أمين الدين رحمه الله  
أن يكون في كل سنة ناظر القامة ( القيامة )<sup>(١)</sup> بالقدس الشريف ، أيام زيارة  
النصارى لها ، فيتوجه بياشر ذلك ويعود ، وأضيف له إلى نكد الزمان أنه  
لم يعيش له ولد ، فدفن فيما أظن قريباً من ستة عشر ولداً ، كلهم إذا ترعرع وبلغ  
خمساً أو ستاً أو سبعاً يتوفاه الله ، فيجد لذلك الآلام المبرحة ، ويرثيهم بالأشعار

(١) قامة ، كنيسة للنصارى ببيت المقدس ، وفي ديوانه ٧٢ ؛ أبيات بهذه المناسبة :

مُشَاهِدَ الْقُدْسِ حَيًّا      جَمَالَكَ صَوْبُ الْقَمَامَةِ  
حَتَّى أَرَانِي مِنْ مِصْرَ      رَأَوْا لِقَدْرِي عِلَامَتَهُ  
مَاتَتْ قِيَامَةُ قَوْمٍ      رَأَوْا لِقَدْرِي عِلَامَتَهُ  
وِظِيفَةُ قِيلَ مَا ذِي ؟      قَلَّتْ قَوْلَ السَّلَامَةِ  
قَامَتُهُ عِنْدَ قَوْمٍ      وَعِنْدَ قَوْمٍ قِيَامَتُهُ

الرائقة الرقيقة<sup>(١)</sup>

وأمين الدين المذكور كان أحد نظار الدواوين بدمشق ؛ حينما أقام ابن نباتة فيها بعد موت الأفضل ، وتوطدت بينهما المودة والصداقة ؛ وصاحبه في رحلاته وأسفاره ؛ وله عمل الرسالة المعروفة بـ « حظيرة الأئس إلى حضرة القدس » ؛ أوردها صاحب ثمرات الأوراق في كتابه .

ثم أضيفت إليه وظيفة أخرى بدمشق في ديوان التوقيع ؛ والتوقيع في عصر المماليك كان يطلق على أحد ضروب الرسائل والمكتبات الديوانية ؛ يشبه المراسيم ؛ وكان لابن نباتة في ذلك شأو بعيد ، وتوقيعات عرف بها ، جمع طائفة منها في كتابه المسمى : « تعليق الديوان » .

\* \* \*

وكان على مضي الزمن وتعاقب الأيام يهتف بذكر مصر بين الحين والحين ، ويعاوده الحنين إليها ، وإلى نيلها وأهرامها ، وربوعها ومعاهدها ، حنين يفيض في شعره ، وينبع من قلبه ، يقول :

يا ساريَ البَرْقِ في آفاقِ مصرَ لقد      أذكرَ تَنِيٍّ مِنْ رَمَانِ الثَّيْلِ ما عَذُبا<sup>(٢)</sup>  
 حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ أوْ دُمِعِي ولا حَرْجَ      وانْقُلْ عَنِ النَّارِ أوْ قَلْبِي وَلَا كَذِبَا  
 واندُبْ عَلَى الْهَرَمِ الْعَرَبِيِّ لِي عُمرًا      فحَبَّذَا هَرَمٌ فَارَقَتْهُ وَصِبا  
 ويقول :

بأبي الخلدود العاريات من البكا      اللباسات من الحرير جلابيا<sup>(٣)</sup>

(١) الواقي بالوفيات ١ : ٣١٢

(٢) ديوانه ٣١

(٣) ديوانه ٢٦ ، ٢٧ .

النابات بأرض مصر، أراها  
أها لمصر، وأين مصر وكيف لي  
حيث الشبيبة والحبيبة والوفاء  
والطرف يركع في مشاهد أوجه  
والدهر سلم كيفما حاولته  
والزاهرات بأرض مصر كواكبها  
بديار مصر مراتعاً وملاعباً!  
في الأغربين مشارباً وأصاحباً  
عقدت بها طرر الشعور محاربا  
لا مثل دهرى في دمشق محاربا

وفي الوقت الذي اشتد فيه حنينه، وقطع أنينه: كان السلطان الناصر حسن  
ابن قلاوون يحكم مصر، فأرسل إليه يمدحه، ويشيد بأجداده، يقول في  
إحداها:

ولم يفتك لمشتاق إلى ظل روضة  
لئن حثني باب البريد إلى مصر  
إلى مصر يحملونيها مخضب الثرى  
لساطان مصر الناصر بن محمد  
تجمعت الأمطار في مصر طاعة  
سلام على إسكندر الوقت إن يفتح  
ملك روث أمهاله سير الثقي  
أجل بيوت الملك بيت قلاوون  
على النيل أروى العيش فيها عن النضر<sup>(١)</sup>  
لقد حثني باب الزيلولة في النزر  
فيغني للورى في الخاليتين عن القطر  
على كل مصر طاعة البر والبحر  
وهل تجمع الأمطار إلا على مصر!  
شدا الذكر عنه والسلام على الخضر  
عن الملك المصرى عن الحسن البصرى  
وأنت أجل البيت يا وارث الدهر

فاستجاب له السلطان، واستدعاه، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٧٦١،  
وكتب في المرسوم أن يُصرف له كل ما يتجهز به، وأن يُجمع له ما انقطع من  
المعالي إلى تاريخه، فجمع له ذلك، وتجهز إلى مصر، فقدمها وهو شيخ كبير.  
وعاد ابن فبأنة إلى وطنه، وتجركت فيه نوازع الشعر، وهزه عطف السلطان  
وأعطياته، فأخذ يُفشد فيه المدايح، ويصوغ حرّ القريض؛ وأعجب السلطان



بشعره ، فأمر بنسخ ديوانه ، وأن يُوضع في أعزّ مكان من مكاتب قصوره .  
وفي كنف هذا السلطان أُلّف ديوانا لاخطب الجمعة ، على نحو ما فعله  
جلده الأكبر عَبْدُ الرَّحِيمِ .  
ثم قُرّر من بعد موقع الدّست وأُعفي من الحضور ، وأمر السلطان بإجراء  
معلومه ، فزَهِدَ صَرِيفٌ لَهُ وَرَبْمَا لَمْ يُصَرَّفْ ، إِلَى أَنْ مَاتَ فِي ٧ صَفَرِ سَنَةِ ٧٦٨  
بِالْمَرِستانِ الْغُورِي ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَةِ ؛ بَعْدَ أَنْ مَلَأَ الدُّنْيَا شِعْراً وَثِراً ،  
وَزَهْراً وَعِطْراً .

\*\*\*

## ٢ - كُتبه وآثاره .

١ - أبرز الأخبار : ذكره الصفدي وابن حجر وصاحب كشف الظنون

وصاحب كتاب هداية العارفين (١)

٢ - النحلة الإنسية في الرحلة القدسية : ذكره الصفدي وقال : إنه سمعه من

القطر (٢)

٣ - تعليق الديوان : تضمن توقيعاته حين ولّى التوقيع في الديوان : ذكره

بركان ، وقال : منه نسخة محفوظة في مكتبة برلين .

٤ - جلاسة القطر : مجموعة من شعره : ذكره البدر البشتكي في مقدمة

الديوان .

٥ - حظيرة الأنس إلى حضرة القدس : وهي وصف رحلته إلى بيت المقدس مع

الصاحب أمين الدين سنة ٧٤٥ هـ : أوردها ابن حجة الحموي في كتاب

ثمرات الأوراق (٣)

٦ - خبر الشير : في بعض مخطوطاته وما سرق منه ، قال ابن إياس : ومما وقع

للشيخ جمال الدين أنه كان يخترع المعنى الغريب في شعره الذي لم يسبق

إليه ، فيعارضه فيه صلاح الدين الصفدي ، يأخذ عنه وزنا وقافية ، وينسبه

لنفسه : كما قيل في المعنى :

وفى يقول الشعر إلا أنه فيما علمنا يسرق المسروقا

(١) ذكره ابن حجر بإسم : « إيراد الأخبار » ، والصفدي بإسم « أبرز الأخبار » .

والأنسب ما ذكرته من الأوراق بالرفقات .

(٢) أوردها صاحب كشف الظنون بلفظ « النحلة الإنسية » .

(٣) ص ٢٣٨ - ٢٤٨

قال الشيخ جمال الدين : فلما جلال على الأمر في ذلك جمعت كتابا  
 فيها قلبت وسرقته مني ، ونسبه إلى نفسه ، وسميت هذا الكتاب « خبز  
 الشعير » ، لأنه ما كول مدموم ؛ وقد أعجب ابن حجة بهذا الكتاب  
 ونقله في كتابه المسمى « تقديم أبي بكر » ، والطبع بعنوان « خزانة الأدب » .  
 ٧ - تلطيف المراجع في شعر ابن حجاج : قال في مقدمته : « فإني رأيت نتائج أفكار  
 الشعراء ذرية بعضها من بعض ، وأسم أشعارهم تبعث في صعيد واحد من  
 الأرض ، إلا أشعار الأديب الفريد أبي عبد الله الحسين بن الحجاج ؛ فإنها  
 أمة غريبة تبعث وحدها ، وذرية عجيبه تبلغ بإفئاف اللهب واللعب رشدها ،  
 لم يحيط خاطر أحد بمثلا خيرا ، ولا استطاع على معارضة شهدها صبرا » .  
 ذكره الصفدي وصاحب كشف الظنون ، وذكر بروكلمان أن هذه  
 نسخة مخطوطة في أ كسفورد ويوليانا .

٨ - خطبة في تعظيم شهر رجب ، ذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة  
 في جوتا .

٩ - ديوان خطب جمعية : طبع بمطبعة شرق في سنة ١٣٠٢ ، ومطبعة عثمان  
 عبد الرزاق سنة ١٣٠٤ ، وفي بيروت سنة ١٣١١ .

١٠ - ديوان شعره ؛ جمعه ورتبه على وزن المجاء ، ومنه نسخ خطية بدار  
 الكتب المصرية والمكتبة التيمورية ومكتبة طلعت ؛ ونسخ أخرى موزعة  
 في مكتبات العالم .

وقد قام تلميذه محمد بن إبراهيم المعروف بالبدر البشقي<sup>(١)</sup> ، بضم  
 ديوانه الكبير إلى باقي المجموعات الأخرى التي عملها المؤلف ؛ وذكر أنه

رأها بخطه ، وهي : طرائف الزيادة ، ومطلع السنة ، والمؤيديات ، والقطر  
النباتي ، وجلسة القطر ، وسوق الرقيق ، والسبعة السيرة ، ورتبها جميعا  
على المهجاء ، وطبع هذا الديوان بالمطبعة الوطنية سنة ١٢٨٨ هـ ، وأخرى  
بمطبعة التمدن سنة ١٣٢٣<sup>(١)</sup> .

وقام ابن حجة المحوى باختيار مجموعة من شعره سماها « بياض النبات »  
ومنها نسخة بخطه في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول .

وفي دار السكتب مجموعة من شعره لم يعلم جامعها ؛ بعنوان « الدرر  
المقتاته من مختار شعر ابن نباتة » تشتمل على قصائد في المدح وجور الظلمة ،  
رقم ١٧٣ أدب - مجاميع .

١٧ - رسالة في المفاخرة بين السيف والقلم ، منها نسخة مخطوطة بالمكتبة  
التيمورية رقم ٨٦٤ أدب ، وطبعت في بيروت سنة ١٣٠٢ .

١٨ - رسالة في المفاخرة بين الورد والرجس ؛ أوردها ابن نباتة في كتابه « سجع  
المطوق » .

١٩ - رسالة في هجاء الحسن بن علي بن محمد المعروف بابن شفار ، قال ابن حجر :  
« وكانت بينه وبين جمال الدين بن نباتة منافرة شديدة ، وله فيها هجاء  
واتفق أنه قرئ على ابن نباتة قطعة من نظمه ونثره ، فكتب له : الحمد لله  
حاشا من قخر ، والصلاة والسلام على محمد مانبح الكلب من ضوء القمر » .  
واستمر في هذا النثر المسجوع ؛ وهي من عجائب ما أنشأه ابن نباتة<sup>(٢)</sup> .

(١) وذكر الأستاذ عمر موسى باشا أن ما جمعه الدرر البشتكي من ديوانه لم يستوعب  
جميع شعره . وقال : « لأنني عثرت على مقطوعات وقصائد لم تنشر في الديوان الكبير ؛ وقد  
لاحظ الأقدمون ذلك ، فأشار الشوكاني إلى هذا النقص ، فقال في كتابه الدرر الطالع في معرض  
ترجمته لليدر البشتكي تلميذ ابن نباتة : « وجمع ديوان شيخه ابن نباتة وفاته كثير منه ، فاستدرك  
ابن حجر ما فاته من شعر ابن نباتة في مجلد » . ابن نباتة شاعر المشرق ص ٢١٢

(٢) الدرر الكامنة ٢ : ٢٤ .

١٥ - زهر المنشور ، وهو كتاب في ترسل ابن نباته ؛ مما سار فيه على طريقة القاضي الفاضل .

ذكره الصفدى وابن حجر ، وابن تفرى بردى في المنهل الصافي ، وابن حجة وصاحب كشف الظنون ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف البريطاني بلندن .

١٦ - السبعة السيارة ، مجموع من شعره ، ذكره البدر البشتكى في مقدمة الديوان .

١٧ - سبع المطوق ، ذكر فيه تراجم من قرظوا كتابه « مطلع الفوائد » مثل الشهاب محمود الحلبي ، والجلال القزويني ، وكال الدين العطار ، وأمين الدين بن النحاس ، وبهاء الدين بن غانم ، قال : « وسميته سبع المطوق لتطويق بالإنعام ، ولسجعي بالحامد على غصون الأفلام » .

ذكره ابن حجر وابن حجة والشوكاني وحاجي خليفة ؛ وذكر بروكلمان أيضاً أن منه نسخاً خطية بالكتابة الأهلية بباريس ؛ وأيا صوفيا وحكيم أوغلي بإستانبول ؛ ومنه نسخ مختلفة خطية أيضاً بدار الكتب المصرية والمكتبة التيمورية ومكتبة طلعت والمكتبة الأزهرية .

١٨ - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، ويأتي الكلام عليه .

١٩ - سلوك دول الملوك ؛ وهو كتاب في السياسة وآداب الدول والملوك وواجباتهم نحو أنفسهم ورعاياهم .

ذكره بروكلمان وقال : إن منه نسخة مخطوطة في أكاديمية فينا .

٢٠ - سوق الرقيق ؛ مجموع من شعره ؛ يشتمل على طائفة من القصائد الغزلية .

ذكره الصفدى وابن حجر والشوكاني والبشتكى في مقدمة الديوان ؛ وذكر بروكلمان أنه منه نسخة مخطوطة في مكتبة برلين وأخرى بالمكتبة الأهلية بباريس .

٢١ - شعائر البيت التقوى : ألفه لتخليد الملوك الأيوبيين الذين حكموا حماة ؛ وعلى رأسهم المظفر تقى الدين ، المهرقي سنة ٥٧٤ هـ .



ذكره الصفي وأبن حجر وصاحب كشف الظنون .

٢٢ - طرائف الزيادة ، مجموع من شعره ، ذكره البدر الششكي في منظومة الديوان .  
 صاحب الفاضل ، من تأليف الفاضل أبو محمد جبار بن علي بن كلاب الفاضل ؛ جمها بأمر  
 السيد أبي الفدا محمد بن علي .

ذكره الصفي وصاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة خطية بمكتبة  
 النصف التي بخطي ، وعنها مصورة دار الكتب رقم ٣٨٨٢ أدب ؛  
 ومنه بالمكتبة الأزهرية بعنوان : « المختار من إنشاء القاضي الفاضل »  
 رقم ١٩ ، أدب - أمانة .

٢٤ - فرائد السلاسل في مضائق الملوك أرجوزة في وصف رحلة الملك الأفضل ، أولها :  
 أين شهدا الروض على فصل الشجيرة واشتلت بالوشي أرواف الكتب  
 ما يب تون سفير القنام وزهيسر يضطك في الآكام  
 ومنه نسخة مخطوطة في برلين ، وأخرى في مكتبة خزانة الأوقاف العامة  
 بغداد ، ونشرها أسعد طلس في مجلة الجمع العلمي العراقي ، في الجزء الثاني  
 من مجلد ٢٧ إلى ٢٨ .

٢٥ - الطور الهادي ؛ شاطيع من شعره ذكره الصفي وقال : إنه سمعه من لفظه ،  
 وابن حجر ، وابن تقي بردي في المنهل الصافي والشوكاني وصاحب كشف  
 الظنون ؛ ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس ، وذكر العلامة  
 الزركلي أنه رأى منه نسخة قديمة بمكتبة اللوز برباطه .

٢٦ - مختارات ديوان ابن الرومي ؛ تشتمل على طائفة من شعره في ذكر السيب  
 والحب والملك والامتنان والمجاء والراء والأوصاف وغير ذلك .  
 ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة آيا صوفيا بالآستانة ، وعنها مصورة دار  
 الكتب رقم ٥٧٢٢ - أدب .

- ٢٧ - مختار ديوان ابن سناء الملك ؛ ذكره الصفدى .
- ٢٨ - مختار ديوان شيخ الشيوخ الشيخ شرف الدين ؛ ذكره الصفدى .
- ٢٩ - مختار ديوان ابن قلافس ؛ أثبت فيه من شعره ما كان من أبناء فكره وحذف منه ما نسب إليه في ديوانه من غير شعره ، ورتبه على حروف المعجم .
- ذكره الصفدى ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب بخط محمود الدابلسى ، وأخرى بالمشكاة الأزهرية ؛ وطبع بمطبعة الجوائب بمصر سنة ١٣٢٣ باسم « ديوان ابن قلافس » بتصحيح خليل مطران .
- ٣٠ - مراسلات ابن نباتة فى مخاطبات أقرانه ، منها نسخة مخطوطة بالمشكاة طلعت تحت رقم ٤٤٠٢ - أدب .
- ٣١ - مطلع القوائد ومجمع الفرائد ؛ ضمنه ذكر ماتناهت إليه أفكار العلماء فى تنقيح النطق وما بلغت أذهان الشعراء والكتاب فى ترشيحه وتفقيحه . ورتبه على ثلاثة أقسام : « القسم الأول فى محاسن أخلاق العلماء فى تأويل المعانى للمشكلة ، والثانى فى مبتدعات الشعراء ومخترعاتهم ، والقسم الثالث فى مخترعات الكتاب ومعجز رسائلهم » ، ألّفه برسم الملك المؤيد صاحب حمّة .
- ذكره الصفدى وابن حجر والشوكانى وصاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة خطية بالمشكاة طلعت بدار الكتب برقم ٤٥١٠ أدب ، وأخرى بالمشكاة الأزهرية برقم ٤٧٣ أدب أباطة وأخرى بالمشكاة خالت أفندى ، وعنهما مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وذكر بروكلمان أيضاً أن منه نسخة بالمشكاة الأهلية بباريس .

٣٢ - المنتخب للنصورى ؛ مجموع من شعره . ذكره الصفدى . وقال الأستاذ عمر موسى باشا : « ولعل الشاعر جمع فيه كل ما قلته فى مدح الأفضّل ، وكان

يسمى بالنصور : على نمط ما فعله في المدائح المؤيدية التي قالها في أبيه (١) .

٣٣ - منتخب الهدية من المدائح المؤيدية : ويسمى « المؤيديات » ، وهو منتخب من القصائد التي مدح بها الملك المؤيد ملك حماة .

ذكره الصفدي وابن حجر ، وابن تقي بردي في المنهل الصافي وصاحب

كشف الظنون . ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة كوبرلي بإستانبول ، بخط

المؤلف ، وعنها مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وطبع بالطبعة الكاستلية سنة ١٢٨٩ ، وفي بيروت سنة ١٣٠٤

وفي مصر سنة ١٣٢٣ .

\*\*\*

ونسب إليه صاحب هداية العارفين كتاب « الاكتفا من تاريخ

الخلفاء » ، والصحيح أنه لأبيه شمس الدين محمد بن محمد (٢)

ونسب إليه أيضاً كتاب « الرسالة الشهائية في الصناعات الطبية » ،

وفي دار الكتب نسخة بهذا الاسم برقم ١٥٤٣ طب ، غير منسوبة .

(١) ابن نباتة المصري أمير شعراء الشرق ٢١٥ .

(٢) من هذا الكتاب أجزاء متفرقة في مكتبة كوبرلي وأما أصولها



### ٣ - شرح العيون

وكتاب شرح العيون من الكتب الفريدة ؛ التي جمعت من شتات الفوائد ، ومتشعب التراجم والطُرف والنفادر ، ومصطفى الشعر ومنحول الكلام مالا يجمع في كتاب ؛ ألفه ابن نباته شرحاً لرسالة ابن زيدون الهزلية ؛ وكان ابن زيدون من شعراء الأندلس وكتّابها ، متضلعا من فنون الأدب عارفاً بأخبار العرب ، راوية لأشعارها وأمثالها ، حافظاً لطرفها ومُلحها ؛ كتب هذه الرسالة على لسان ولادة بنت المستكفي ، إحدى الظريفات من بنات خلفاء الغرب الأمويين إلى أحمد بن عبدوس ؛ منافسه في حبّها ، ومكانته عندها ؛ بأسلوب تهكمي ساخر ؛ وشأها بيدع الكنايات والتشبيهات ، ورصّعها بالإشارات التاريخية ، والمعارف الأدبية ؛ كما ضمنها الكثير من الأبيات الرائقة ، والأمثال السائرة ، نَمَا يعوزه الشرح والتفسير ؛ فجاء ابن نباته ؛ فشرح غريبها ، وترجم الأعيان الذين ورد ذكرهم فيها ، ثم استطرّد إلى ذكر الوقائع والأيام والأحداث ونصوص الشعر والخطب والحكم ، مما جعل هذا الشرح مرجع الباحث ، وغنية المتأدّب ، ومراد المستفيد .

ويظهر أنه ألف هذا الكتاب أثناء إقامته بدمشق ؛ وشبابه غضّ ، وعيشه موقن ، وذهنه حاضر جميع ، فنقل إليه عصارة محفوظه ، وخلاصة ما حوته خزائنه كتيبه ؛ قال : « وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية أسفاراً فيها للطلاب منجع ، وللأفهام الناشئة ذكرى تنفع ؛ فلم يتهيأ أن أعارَ منها كتاباً ، ولا أراجع من أسنة حروفها خطاباً ، فقلت : هذا عذر آخر لم يكن في الحساب ، وهذا قصد قد تغلّقت دونه الكتب قاتمها ذات أبواب ، ولم يبق إلا ضبابة الحاصل التي أبقمتها نُوب الدهر ، واستنباط الثمد إذ أعجز ورود البحر ، فأملت

شرح هذه الرسالة من فكر قدمه القرح ؛ وشرح إلا أنني مقتصر وما أطيل  
 للشرح ؛ بيد أني لم أحتد إلا على غل خبر صحيح ، ونسب قول صريح ؛ ولم أدخل  
 ترجمة كل ما ذكر من فائدة سارة ، ونادرة دالة ، وأقوال جديدة ، وأبيات  
 مشيئة ، وفقر ما أخطأتها خطة سعيدة ؛ ولم آل في اختيارها جهدا ، ولا ازددت  
 مع صروف الزمان إلا نقدا ، هذا مع تجنب الإكثار ، وترك الإخلال بنظائر  
 الأشعار ، والتعريف مما لعل المباحث تقتضيه من العثار <sup>(١)</sup> .

## ٤ - تحقيق الكتاب

وقد كان هذا التلميح من أوائل السكتب التي نوات طبعاتها في هذا العصر ،  
فطبع في بولاق سنة ١٢٧٨ هـ ، ثم بالطبعة الوطنية بالإسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ ،  
ثم بالطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٥ هـ ، ( على هامش الميث المنسجم ) ، ثم بطبعة  
الوسوعات سنة ١٣٢١ هـ ، ثم بطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٧ هـ ، كما طبع  
بالأمشاة سنة ١٢٧٥ هـ ، ومع ترجمته بالتركية .

وجميع هذه الطبعات يشيع فيها الخطأ والتجريف ، ويعوزها الضبط والشرح  
والتعليق ، مما يحول دون الانتفاع بالكتاب ؛ والوقوف على ما فيه من فوائد  
ومعارف .

وجئنا تها إلى نشره نخير ثلاث نسخ من مخطوطاته ، وواحدة مطبوعة ،  
أدرت حولها التحقيق .

١ - نسخة مخطوطة بقلم نسخ معتاد ، كتب المتن بالحرة والشرح بالمداد  
الأسود ، بخط الهادي بن محمد بن الحسن الحمزي البياضي سنة ١٠٨٠ هـ ، ويقع  
في ١٢٣ صفحة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا في المتوسط ، وعليها بعض التعليقات  
وهي محفوظة بالمسكية التيمورية برقم ٧٠٦ أدب ، وقد رويت إليها بالحرف  
(بت) .

٢ - نسخة خرائية بخط نسخ فارسي جميل ، وبأولها صفتان متقابلتان  
حليتا بالذهب والألوان واللازورد ، مجدولة بالذهب والألوان كتبت سنة ١٢٥٢



وتقع في ١٢٣ ورقة ، ومسطرتها ٢١ سطراً ؛ وهي محفوظة بدار الكتب برقم ٥١ م  
وقد رمزت إليها بالحرف ( م ) .

٣ - نسخة بقلم نسخ معتاد ، ناقصة من آخرها ، وفي بعض فصولها  
اختصار ، ويبدو أنها كتبت في القرن الحادي عشر الهجري ، وقد كتب المتن  
بالحرارة والشرح بالمداد الأسود ، وتقع في ٦٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطراً في  
التوسط ، محفوظة بدار الكتب برقم ٥١٢٧ أدب ، وقد رمزت إليها  
بالحرف ( د ) .

٤ - أما للطبوعة ؛ فهي النسخة التي قام بتصحيحها المرحوم الأستاذ حمزة  
فتح الله ، طبعت بالمطبعة الوطنية بالإسكندرية سنة ١٢٩٠ ؛ دون ذكر الأصل  
المخطوط الذي طبعت عليه ؛ وبها قليل من التعليقات مما كتبه مصححها .

كما أني رجعت إلى الكتب التي أوريها المؤلف في كتابه ، مثل كتاب  
الأغاني لأبي الفرج ، والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ ، وجمهرة الأمثال  
للعسكري ، وجمع الأمثال للبيدائي ، ومفردات الراغب الأصفهاني ؛ وغيرها  
من كتب التاريخ والأدب والمعجم ودواوين الشعر مما أشرت إليه في مكانه ،  
كما صنعت له الفهارس المتنوعة .

\* \* \*

وبعد ، فقد قام الأستاذ عمر موسى باشا بدراسة وافية عن ابن نباتة ، أوفى فيها  
على الغاية ؛ وبلغ بها من جدة البحث ، وجمال الأسلوب ، وسلامة المنهج مبلغاً  
بعيداً ؛ وقد أفدت منه في هذه المقدمة ، ولولا أني قصدت فيها أن أتحدث  
عن كتابه سرح العيون ؛ وأن أستطرد لاستقرأ جميع كتبه ، وألتي ضوءاً

على حياة ابن نباتة بالقدر الذي يناسب هذا المكان ، لكنت اكتفيت  
بهذه الدراسة التي أسماها : « ابن نباتة المصرى أمير شعراء المشرق »<sup>(١)</sup> ، وكان  
فيها كفاية وغناء .

والله وليّ الهداية والتوفيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

مصر الجديدة { ١٥ شعبان سنة ١٣٨٣  
٣٠ ديسمبر سنة ١٩٦٣ }

(١) طبعت بدار المعارف من مجموعة مكتبة الدراسات الأدبية سنة ١٩٦٣ .

